١٧ ــ التدخين آفة ضارة

وهو حرام[1]

١٤/١/١٤١٧هـ

٣١/٥/١٩٩٦م

● الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

طلبَ إليّ بعض الإخوة أن أحدّثكم عن التدخين، بمناسبة اليوم العالمي للتدخين.

والتدخين آفة من الآفات، ابتلي بها النّاس في عصرنا وابتلي بها العرب والمسلمون خاصّة، وأصبحت داء يتناقله النّاس بعضهم عن بعض.

هو كالأوبئة التي تُعدي كما يُعدي الأجرب السليم، وسرعان ما تنتشر هذه الآفة انتشار النّار في الهشيم، الصغير يقلّد الكبير، والابن يقلّد الأب، والفقير يقلّد الغني ويبدأ الناس كما قالوا: (أولّه دلع وآخره ولع)، فيصبح الإنسان عبداً لهذه الآفة، أسيراً لهذه العادة، لا يملك لها فكاكاً.

---

(١) للشيخ القرضاوي ـ حفظه الله ـ فتوى مطوّلة بعنوان: «أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعد الشرعيّة) تضمّنها الجزء الأوّل من كتابه (فتاوي معاصر) ص٦٥٤ ـ ٦٦٩.

obeikandl.com

اختلاف العلماء قديماً في حكم التدخين:

لقد ظهرت هذه الآفة منذ حوالي أربعة قرون، على رأس الألف من الهجرة، واختلف العلماء عند ظهورها في شأنها ما بين محرّم لها لما يرى ما تجلبه من ضرر. ومن قائل بكراهتها.. ومن مبيح لها يقول: إنّ الأصل في الأشياء الإباحة، ولم يرد ما يحرّم هذا الأمر.

في عصرنا يجب أن نفتي بالتحريم:

ولكنّنا في عصرنا ينبغي أن نجزم بحكم واحد لا ريب فيه ولا شبهة معه، هذا الحكم هو تحريم التدخين تحريماً باتّاً، وذلك لأنّ حكم الفقيه في هذه القضيّة مبنيّ على رأي الطبيب، فإذا قال الطبيب: إنّ هذا الأمر ضارّ، وليس فيه نفع، فينبغي للفقيه أن يقول: إنّ هذا الأمر حرام ولا شكّ فيه.

وهذا ما أجزم به، ويجزم به الفقهاء المحقّقون: أنّ هذا التدخين آفة محرّمة، وذلك لعدّة أسباب:

التدخين ضدّ الضروريّات الخمس:

أوّلاً: إنّ هذا التدخين ضرر لا شكّ فيه، ضرر على النفس، وضرر على العقل، وضرر على الدين، وضرر على المال، وضرر على النّسل.

ضرر يؤثّر في المصالح التي سمّاها الفقهاء: الضروريّات الخمس، التي لا تقوم حياة إنسانيّة إلاّ بها.

التدخين ضرر على النفس والحياة والصّحّة:

هو ضرر على نفس الإنسان وعلى صحّته، أجمع على ذلك أطباء العالم، والهيئات العلميّة في العالم، ولذلك فرضوا على الشركات التي تبيع هذا الدخان ـ أو التبغ أو التتن أو سمّوه ما تسمّونه ـ أن تعلن أنّ التدخين ضارّ بالصّحّة.

هو ضارّ بصحّة الإنسان، مسبّب لأنواع من السرطانات، منها سرطان الرئة والمريء والبلعوم وغير ذلك، ومسبّب لأمراض تصيب شرايين القلب إلى غير ذلك.

فهو ضرر على حياة الإنسان، وعلى صحّة الإنسان.

صحيح أنّه ليس ضرراً فورياً، ولكنّه نوع من الانتحار البطيء. هناك سمّ يقتل في الحال، وهناك سمّ يقتل بعد سنة أو سنتين أو عشر سنين.

هو سمّ قاتل، فيه من هذه المواد: الزفت، والقطران، والهباب الأسود، والنكوتين، والمواد الكيماويّة، والمواد السّامّة، ما يؤثّر في جسم الإنسان على المدى الطويل.

فالإنسان الذي يتناول هذا الشيء، يتناول سمّاً بطيئاً، ينتحر ولكن بالقطّارة.

فهل يجوز للإنسان أن يقتل نفسه والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]؟!.

لقد قرّر العلماء أنّه لا يجوز للمسلم أن يتناول شيئاً يضرّه في الحال أو في المال، ولو كان أكل الطين، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، والنبي ﷺ يقول: «لا ضرر ولا ضرار»[1]: لا تضرّ نفسك ولا تضارّ غيرك،

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، ورواه ابن ماجه عن عبادة، ورمز له السيوطي بالحسن (الجامع الصغير: ٢/ ٢٠٣). وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال النووي في الأذكار: هو حسن، وقال الذهبي: حديث لم يصحّ، وقال ابن حجر: فيه انقطاع قال: وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من وجه آخر أقوى منه، ورواه الحاكم والدارقطني عن أبي سعيد وزاد: «من ضرّ ضرّه الله، ومن شقّ شاقّ الله عليه»، وفيه عثمان بن محمد ابن عثمان ليّنه عبد الحق، والحديث حسّنه النووي في الأربعين، قال: ورواه مالك مرسلاً وله طرق يقوّي بعضها بعضاً، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة

فكيف يجوز للإنسان أن يضرّ نفسه؟!.

وفلسفة الإسلام هنا واضحة كلّ الوضوح، بيّنة كالشمس في رابعة: إنّ الإنسان ليس ملك نفسه، بحيث يؤذي نفسه كما يشاء ويضرّها كما يشاء، لا أنت لم تخلق نفسك، الله هو الذي خلقك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [القصص: ٦ ـ ٨].

كيف تضرّ نفسك باختيارك؟! هل يفعل هذا إنسان له عقل؟! فكيف إذا كان المدخّن يضرّ نفسه ويُضارّ غيره؟!.

لقد أثبت لنا العلم، وأثبت لنا الطب: أنّ المدخّن يؤذي غيره قهراً.

أنا لست مدخناً، ولكن إذا جلست في مكان فيه مدخّن، فإنّي أُصاب ـ بقدرٍ ما ـ بما يسمّونه: التدخين القسري! أي: أنا أدخّن رغم أنفي، لأنّي استنشق الهواء الذي فيه أثر التدخين.

المدخّن يؤثّر على من حوله: على زوجته.. على أولاده.. على البيئة التي يعيش فيها، فهو يضرّ نفسه ويُضارّ غيره.

ولذلك نقول: إنّ الضرر على النفس.. على الصّحة.. على الحياة، من هذه المصيبة ضرر مؤكّد، لا يجوز لعاقل أن يدخل، من هذه المصيبة ضرر مؤكّد، لا يجوز لعاقل أن يدخل هذا السمّ على جسده مختاراً، وعنده ذرّة من عقل.

التدخين ضارٌ بالعقل:

الله وهبنا العقول لنفكّر بها، فكيف يفكّر الإنسان أن يضرّ نفسه مختاراً ولم

الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير: ٦/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ برقم ٩٨٩٩). وقوله: «لا ضرر»: أي لا يضرّ الرجل أخاه فينقصه شيئاً من حقه، «ولا ضرار» أي لا يجازي من ضره بإدخال الضرر عليه بل يعفو.

يكرهه أحد على هذا؟!.

التدخين ضارّ بالعقل، يؤثّر على العقل، ففيه نوع من الإسكار، ونوع من التفتير، يشعر به الإنسان حينما يتناول أوّل سيجارة، فيذهل عن نفسه، ويكفي أن ترى المدخنين وسلوكهم، فتستيقن من ذلك.

هؤلاء الذين ينفقون أموالهم فيما يضرّهم، وربّما كانت أسرهم وأطفالهم في حاجة إلى القوت الضروري، وهم لا يبالون!.

هل هذا إنسان عاقل؟!.

لا أحسب هذا إنساناً عاقلاً بحال، ولا أدري ما يقوله العلم المعاصر والطب المعاصر عن تأثير التدخين على مخّ الإنسان.

التدخين ضارّ بالدين:

والتدخين كما يضرّ بالنفس، ويضرّ بالعقل، يضرّ بالدين.

أعرف أناساً لا يصومون رمضان، لماذا؟ يقول أحدهم: لا أستطيع أن أستغني عن السيجارة، إنّها حياتي!.

وكثير من النّاس يصوم وأوّل ما يؤذّن المغرب يفطر على هذا الخبث الخبيث.. على التدخين.

ثمّ إن التدخين يجرىء المدخّن على ارتكاب ما نهى الله عنه من التبذير والإسراف، وإيذاء الغير، إلى جانب تقصيره فيما أمر الله به من الواجبات الدينيّة والدنيويّة، فلا يستطيع مدخّن أن يقوم بواجب الجهاد في سبيل الله، دفاعاً عن الدين أو الأرض، أو العرض، لأنّ التدخين يضعفه بدنيّاً، ويحرمه من القوّة اللاّزمة لأعباء الجهاد ومشقّاته.

التدخين ضارّ بالنّسل:

والتدخين ضرر بالنسل. فالمدخّن يؤثّر على أولاده، ويضرّ بأطفاله، وهذا أمر مؤكّد.

أثبتت أحدث الدراسات أنّ الأولاد والأطفال الذين يترعرعون في بيئة مدخنّة، ومع أب مدخّن، أو أمّ مدّخنة، هؤلاء تكون جدران شرايينهم ـ شرايين القلب ـ أضعف من غيرهم، ويكونون معرّضين لآفات وأمراض لا يعلمها إلاّ الله.

وهؤلاء ما داموا يعيشون مع أب مدخّن أو أمّ مدخّنة، فهم في بيئة ملوّثة يقيناً، ويدخّنون قهراً عنهم، لأنّهم يستنشقون هواء التدخين، ثمّ بعد ذلك يقلّدون الأب المدخّن، ويظنّون أنّ التدخين من علامات الرجولة، ولذلك كثير من الأولاد الصغار يبدأ التدخين ويمسك بالسيجارة والعلبة، ليثبت أنه قد بلغ، وأصبح رجلاً من الرجال، والآفة من الأب المدخّن.

التدخين ضارّ بالمال:

التدخين يضرّ بالضروريّات الخمس كلّها، ومنها: الضرر المالي.

الإنسان المدخّن ينفق ماله فيما لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة، وقد اتفق العلماء على أنّ إضاعة المال فيما لا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة حرام، لا يجوز.

لا يجوز إضاعة المال، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، المال مال الله، وأنت مُستخلف فيه، فلا يجوز لك أن تضيّع مالك فيما لا ينفعك: لا ينفع روحك، ولا ينفع بدنك، ولا ينفع عقلك، ولا ينفع نفسك، ولا ينفع أسرتك، ولا ينفع أمّتك.

المدخّن يشتري ضرره بحرّ ماله، يضرّ نفسه بالثمن ليته يضرّ نفسه مجّاناً، يضرّ نفسه بما يدفع.

هل هذا عقل؟! هل هذا دين؟!.

وممّن يشتري؟ يشتري من الشركات العالمية التي تبيع السجاير: شركات (المارلبورو) وغيرها، التي يعلنون عنها، وهذه شركات استعماريّة، يملك الكثير

منها اليهود وأشباه اليهود، تنفق على الدعاية وحدها في السنة عدّة مليارات ـ لا أذكرها، قرأتها قريباً ونسيت العدد، أرقام ضخمة ـ فكيف بما تكسبه هذه الشركات؟! تكسب شيئاً هائلاً.

ونحن المسلمين نشتري منها بالمليارات، وبعض البلاد الإسلامية المحدودة الدخل، والمدينة، من أكثر البلاد تدخيناً، مثل الباكستان ومصر، النّاس يدخّنون بشراهة، وهم لا يكادون يجدون القوت.

ومن عجب: أن ترى الرجل يشتري السجاير ويدخّن وأولاده ربّما كانوا في حاجة إلى رطل من اللحم ـ أو كيلو من الفاكهة ـ يأكلونه، وربّما كانوا في حاجة إلى ملابس تستر أجسادهم، وربّما كانوا في حاجة إلى أدوات مدرسيّة.. إلى كتب.. إلى هذه الأشياء الأساسيّة، فيذهب الرجل يشتري السجاير ويدع أسرته المسكينة تعاني ما تعاني.

هذا ما تقع فيه الأمّة.

نحن إذن ننفّق سلع هذه الشركات العالميّة، ندفع لها المليارات سنوياً، من قوت أولادنا، وعصارة أرزاقنا!.

فهذا هو الضرر المالي.

التدخين ليس من الطيّبات:

ثانياً: الإسلام يكره الإسراف في الحلال: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، فكيف بهذا الأمر الذي لا يمكن أن يُعدّ في الطيبات؟!.

وُصف النبي ﷺ في كتب الأقدمين بأنّه: «يحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث»[1]، في أيّ خانة نضع هذه السجاير؟ في خانة الطيبّات أم في خانة

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي

الخبائث؟ الذي عنده حسّ فطريّ لا شكّ أنّه سيضعها في خانة الخبائث، لأنّه ليس فيها أيّ شيء من النفع والطيب.

لولا اعتياد الناس لها ما تذوقّها الإنسان، لكرهها، لرماها، لكن الإنسان إذا اعتاد شيئاً ولو كان أكل الطين، فإنّه يسهل عليه، ويحلو له، وهذه آفة أيضاً.

استعباد إرادة الإنسان:

ثالثاً: من آفات هذا التدخين إرادة الإنسان.

الإنسان المدخّن عبدٌ لهذه الآفة، عبدٌ لهذه العادة، ليس حرّاً، لا يستطيع أن يحرّر نفسه إلاّ بإرادة قويّة، كأن تكون (حكم الطبيب)، يقول له: إمّا أن تقلع عن التدخين، وإمّا أن تعرّض نفسك للموت، هذا ما رأيناه، رأينا أناساً بعد أن عاشوا ثلاثين سنة، وأربعين سنة، وخمسين سنة.

يدخّنون، بعد إنذار الطبيب أقلعوا عن التدخين، لأنّه إمّا حياة وإمّا موت، وهم لا يريدون أن يموتوا، فيقلعون عن التدخين بعد هذه السنين الطويلة.

استعباد الإرادة هذه آفة:

لماذا تعبّد نفسك لغير الله؟!.

لماذا تجعل إرادتك رهناً بشيء ليس هو من الأساسيّات، ولا من الضروريّات، ولا الحاجيّات، ولا التحسينيّات، شيء يمكن الاستغناء عنه تماماً؟!.

= ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بل هو شيء مؤذٍ وشيء كريه، رائحته نفسها مؤذية.

أنا من النّاس الذين لا يطيقون رائحة التدخين، ولو ابتليت بإنسان يُدخّن أكاد أختنق، وأقول له: يا أخي ارحمني.

والغربيّون عرفوا هذا الأمر، فجعلوا في الطائرات أماكن للمدخنّين، وأماكن لغير المدخنّين، وكذلك في القطارات وفي الحافلات (الباصات)، يجعلون هناك عربات أو مقاعد لغير المدخنين، حتى لا يُؤذوا غيرهم، وبلادنا قد قلّدتهم وإن كانت ـ للأسف ـ لا تلتزم، كثيراً ما ركبت بعض الطائرات العربيّة، ورأيت في أماكن غير المدخنّين من يُشعل السيجارة ولا يبالي بالنّاس.

رابعاً: هناك أناس يقولون: التدخين مكروه وليس حراماً، لأنّ التحريم يحتاج إلى نصّ محكم، ولا نصّ، وأنا أقول لهؤلاء: النّصّ موجود، وهو كل ما يحرم إضرار الإنسان بنفسه أو بغيره، وكلّ ما يحرم الإسراف في المال أو إنفاقه فيما لا ينفع، وكلّ ما يحرم الخبائث من الأطعمة والأشربة ونحوها.

وهب أنّنا سلمنا لهؤلاء المجادلين والمماريين بأنّ هذا أمر مكروه، فهي كراهة تحريم بلا ريب، وقد قلت لأحدهم يوماً: كم تفعل هذا المكروه في كلّ يوم؟ فقال: أربعين مرّة أو تزيد! قلت له: اجمعها بعضها على بعض، فلن تقلّ عن حرام بيقين. جاء في الحديث: «إيّاكم ومحقّرات الذنوب، فإنّهنّ يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»[1]. وفي حديث آخر: «إيّاكم ومحقّرات الذنوب، فإنّما مثل محقّرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى

---

(١) من حديث ابن مسعود الذي رواه أحمد، والطبراني والبيهقي، كلّهم من رواية عمران القطان وهو ممّن اختلف في توثيقه وتضعيفه، وبقيّة رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح كما ذكر المنذري والهيثمي، وقال ابن حجر سنده حسن، وقال الشيخ شاكر في تخريج المسند: إسناده صحيح، ورواه أبو يعلى بنحوه من طرق إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، ورواه الطبراني، والبيهقي أيضاً موقوفاً عليه. ويشهد للحديث حديث سهل بعده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٧١ برقم ١٤٦٤).

حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإنّ محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[1].

ومثل ذلك يقال في اجتماع المكروهات التحريميّة المتكرّرة أبداً.

هدايا المدخنين غير جائزة:

والتجار ـ للأسف ـ يشجّعون المدخنين، تجد هناك أشياء كثيرة تتبرّع بها الشركات من أجل التدخين: الأطباق التي توضع في المجالس و(الصالونات) لإطفاء السجاير، وعلب السجاير، وقدّاحة لإشعال السيجارة، وغير ذلك، وهذا لا يجوز.

لا يجوز للإنسان أن يضع في بيته مطفأة أو (طفّاية)، من جاء إلى بيته فليحترم البيت، ولا يدخّن، حتى لا يؤذي أهل البيت.

لا نشجّع الناس على التدخين بأن نضع لهم (طفّايات) السجاير في بيوتنا ومجالسنا، ليبوؤوا بإثمه، إن كان ولا بدّ فليحملوا أوزارهم وحدهم، ولا يحمّلونا هذه المصيبة.

يا أيها الإخوة:

السجاير هذه آفة ومصيبة ابتلي بها الناس، لا يجوز لنا نحن المسلمين أن نشارك فيها، بل ينبغي أن نقف ضدّها حرصاً على سلامتنا، حرصاً على صحّة أجسامنا، حرصاً على صحّة عقولنا، حرصاً على صحّة عقولنا، حرصاً على صحّة ديننا، حرصاً على صحّة أولادنا، حرصاً على صحّة جيراننا، حرصاً على سلامة

---

(١) من حديث سهل بن سعد الذي رواه أحمد، ورواته محتجّ بهم في الصحيح، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهّاب بن الحكم وهو ثقة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٧١ برقم ١٤٦٥).

أموالنا، حرصاً على قوّة مجتمعنا، فإنّ مردود هذه الآفة في النّهاية هو ضعف الأمّة، وإصابتها بضرر عام في الحياة كلّها.

بيع التبغ (الدخان) وزراعته غير جائز شرعاً:

لا يجوز أن ندخن، ولا يجوز لنا أن نبيع السجاير والدخان، لأنّنا نبيع الحرام، ومن باع الحرام شارك فيه.

الإسلام حينما حرّم الخمر لعن معها عشرة: «عاصرها، ومعتصرها، وشاربها وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشترى له»[1]، كلّ من ساهم فيها من قريب أو من بعيد ملعون على لسان محمد ﷺ.

ولذلك نقول: إنّ زراعة (التبغ) هذا محرّمة، وللأسف هناك بعض البلاد الإسلاميّة تزرع هذا الدخان.

لا يجوز أن يُزرع، ولا يجوز أن يُباع، ولا يجوز أن يُتاجر فيه، كثير من البقّالات، والمحلاّت التجاريّة تبيع السجاير لأنّ وراءها مكسباً كبيراً، ولكنّه كسب من سُحت، لا يبارك الله فيه، لأنّه كسب من أذى الناس.. من ضرر الناس.

والله لأن تكسب قليلاً من حلال يبارك الله لك فيه، خير من أن تكسب الحرام من وراء هذه الآفة.

---

(١) رواه ابن ماجه، والترمذي واللفظ له، وأوّله: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة...». وقال الترمذي: غريب من حديث أنس، وقال الحافظ المنذريّ: ورواته ثقات. وقد روي نحوه عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبي ﷺ، فالحديث صحيح بشواهده، وهو يدلّ على القاعدة الإسلاميّة: أنّ الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم كلّ ما يفضي إليه ويساعد عليه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٥٢ برقم ١٤٠١).

ينبغي للمسلمين ـ أصحاب البقالات والمحلات التجاريّة ـ أن يقاطعوا السجاير، ولا يبيعوها، من يريد أن يشتري السجاير عليه أن يبحث ويتعب، من أراد أن يدخل جهنم فليدخلها وحده، لكن إذا كنت أنت حريصاً على الجنّة، وحريصاً على النجاة من النار والسلامة من العذاب، فلا تشارك في هذه الآفة.

استيراد الدخان لا يجوز:

لو استطعنا أن نمنع استيراد هذه البضاعة الأثيمة، فلنفعل، لأنّ استيراد المواد المضرة لا يجيزه شرع ولا قانون ولا أخلاق، فليت حكوماتنا تحزم أمرها وتمنع هذه السلعة الضارّة.

منع التدخين في الأماكن العامّة:

لقد سعدت بما صدر قرارات في دولة قطر تمنع التدخين في مستشفى حمد العام، وتمنع التدخين في جامعة قطر، وتمنع التدخين في مدارس وزارة التربية والتعليم، وتمنع التدخين في الأماكن العامّة، كما سعدت بمنع التدخين في طائرات الخليج بين دول مجلس التعاون.

وينبغي أن نوسّع في هذا ما استطعنا، حتى نضيّق على هؤلاء الذين يؤذون أنفسهم بأنفسهم، ويؤذون من حولهم بالرغم منهم.

هؤلاء مرضى، فنبغي أن لا نمكّنهم من أن يؤذوا أنفسهم ويؤذوا المجتمع من حولهم.

المشكل أنّهم لا يؤذون أنفسهم فقط، تبيّن أنّهم يؤذون الغير شاؤوا أم أبوا.

دعوة المدخّنين إلى وقفة مع النفس:

نحن في حاجة إلى وقفة مع النفس.

أدعو الإخوة والأبناء الذين ابتلوا بهذه الآفة، أن يقفوا مع أنفسهم وقفة

حزم.. وقفة إرادة، لا يحتاج الأمر إلاّ إلى إرادة، أليس المسلم يصوم رمضان فيمتنع خمس عشرة ساعة ـ أو أكثر ـ في اليوم عن هذه الآفة ولا يحدث له شيء؟.

الإرادة هي التي فعلت هذا.

نحن نريد الإرادة القويّة التي يعزم فيها صاحبها: ألاّ يعود إلى هذه الآفة. سيدوخ في أوّل الأمر، ويشعر بالغثيان، ولكن ثمن هذا ثمن عظيم: سينجو من هذه الآفة، سينجو ممّا تسبّبه من أمراض خطيرة، سينجو هو وأولاده، سينجو المجتمع من حوله.

نحن في حاجة إلى هذه الإرادة، وكما يقول الشاعر قديماً:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإنّ فساد الرأي أن تتردّدا

وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً فإنّ فساد العزم أن يتقيدا

هناك من يقول: يمكن أن نأخذ الأمر بالتدريج بعد أن كنت تدخّن ثلاثين سيجارة دخّن عشرين، ثمّ عشرة، ثمّ خمسة... الخ.

وهناك من يقول: الأمر يحتاج إلى الإرادة الجازمة.. إلى الإرادة القويّة، وهذا هو الأصوب: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إنّي أدعو إخواني المسلمين، وأدعو أبنائي المسلمين، إلى أن يملكوا هذه الإرادة المؤمنة أن يملكوا هذه العزيمة الصادقة، وأن يتوكّلوا على الله، وينووا ترك هذه الآفة، ويصبروا على ما يصيبهم أيّاماً أو أسابيع، ثمّ يصبح الأمر عاديّاً بعد ذلك.

أمّا النساء اللاّئي يدخّنّ فهي آفة عظيمة دخيلة على مجتمعنا، ما كنّا نعرف في بلاد العرب والمسلمين أن امرأة تدخّن، وما أقبح المرأة التي تمسك السيجارة وتدخّن، وأسنانها صفراء، ورائحتها كريهة.

النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من أكل بصلاً أو ثوماً، فليعتزلنا، أو

فليعتزل مساجدنا، وليقعد في بيته»[1]، وأمر بعض النّاس أن يخرج من المسجد لسوء رائحته تما أكل من الثوم والبصل والكراث وهذه الأشياء[2]، مع أنّها نافعة، فيها (فيتامينات) وغيرها من مواد الغذاء، ولكن رائحتها كريهة.

لا ينبغي للإنسان أن يؤذي غيره، فكيف يؤذي الرجل امرأته برائحته الكريهة؟ وكيف تؤذي المرأة زوجها؟ أو تؤذي أولادها؟!.

كلّ هذا ينبغي أن نقف معه وقفة حازمة، نراجع فيها أنفسنا، ونثوب فيها إلى رشدنا، وننوي نيّة صادقة ألاّ نعود إلى هذه الآفة أبداً: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● الخطبة الثانية:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كنت أبداً مع اختيار الشعب الجزائري في انتخاباته المعروفة التي ألغيت، وكنت أرى أنّ من حق هذا الشعب أن يختار من يريد أن يحكمه، فهو ليس شعباً قاصراً.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنّسائي، عن جابر رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١٦٥ برقم ١٧٨).

(٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: ثمّ إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلاّ خبثتين: البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتهما طبخاً رواه مسلم والنسائي وابن ماجه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١٦٦ برقم ١٧٩).

من حقّه أن يختار لنفسه كما تختار لشعوب لنفسها، كما يختار الأمريكان لأنفسهم، وكما تختار إسرائيل لنفسها وكما يختار الأوروبيون لأنفسهم، وكما يختار الهنود لأنفسهم، العالم كلّه يختار من يريد.

ومن حقّ الشعوب أن تُحكم بمن يريد، ولا تُكره على أحد، الإسلام لا يحب أن يكره الناس حتى على إمام الصلاة، ومن الثلاثة الذين لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: «رجل أمّ قوماً وهم له كارهون»(١).

كنت مع الشعب الجزائري، ولكنّي لست مع هذه الجماعات المسلّحة، التي تقول إنها جماعات مسلمة وتقتل البرآء بغير حق، وبغير ذنب، وتقتل العزّل من الناس ومن المدنيين، وتقتل قتلاً عشوائياً.

الإسلام يرفض هذا، الدماء في الإسلام مصونة، والحياة محترمة، والقرآن يقرّر ويؤكّد ما جاء في الأديان السابقة أنّ: ﴿.. مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ..﴾ [المائدة: ٣٢].

ولهذا اقشعرّ بدني، حينما سمعت قتل الرهبان الفرنسيّين السبعة في الجزائر، ما صدّقت أن يحدث هذا من مسلم، الإسلام لا يجيز أن يُقتل الإنسان ـ في غير حرب ـ بغير نفس قتلها عمداً، وبغير فساد في الأرض، ولم يفعل ما يبيح دمه، فلماذا يُقتل هؤلاء الرهبان.

الإسلام نهى في الحرب العلنيّة الرسميّة بينه وبين أعدائه أن يُقتل الرهبان، لا يُقتل إلاّ من يُقاتل.

---

(١) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان» رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وأورد الشيخ القرضاوي كلام عدد من الأئمة في إسناده ثمّ قال: فالحديث لا ينزل عن الحسن (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١٨٢ برقم ٢٢٩).

رأى النبي ﷺ في بعض الغزوات امرأة مقتولة، فأنكر ذلك، وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»[1]، ونهى بعد ذلك عن قتل النساء والصبيان، كما نهى عن قتل العُسفاء، أي: الأجراء الذين يعملون بالأجرة.

ونهى الخلفاء الراشدين عن قتل الفلاّحين الذين لا ينصبون للمسلمين في الحرب، وقال سيّدنا أبو بكر ـ حينما وجّه جيشاً: ستجدون أناساً في الصوامع، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له.

هكذا قال أبو بكر، وأقّره الصحابة رضوان الله عليهم، فلماذا يُقتل هؤلاء الرهبان؟.

أخذوهم رهائن، والإِسلام لا يجيز مسألة الرهائن، لا يجيز أن ترهن إنساناً من أجل وزر إنسان آخر.

ما ذنب هذا الإنسان:

الذين يخطفون الطائرات أو يخطفون السفن، ويهدّدون الآخرين: إذا لم تسلّموا من عندكم، أو تسلّمونا كذا، سنقتل هؤلاء!.

ما ذنب هؤلاء المخطوفين؟.

هذا لا يجوز في الإِسلام قط.

لا يجوز أن تهدّد إنساناً بريئاً من أجل جرم غيره. الله تعالى يقول: ﴿.. وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ..﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهذا أمر مقرّر في الرسالات الإِلٰهية جميعاً: ﴿.. أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

---

(١) رواه أبو داود برقم (٢٦٦٩)، وابن ماجه برقم (٢٨٨٢)، عن رباح بن ربيع، ونصّه: قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلاً فقال: «انظر علام اجتمع هؤلاء» فجاء فقال: على امرأة قتيل، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل». قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد، فبعث رجلاً، فقال: «قل لخالد لا يقتلنّ امرأة ولا عسيفاً».

وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ . . ﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٣٨].

وقد روى أهلّ التاريخ أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي، المشهور بالعسف والجبروت، اعتقل إنساناً، ثمّ جيء به إليه في مجلس الحكم، فسأله عن قضيّته، فقال له: جنى جان من عُرض العشيرة فأخذتُ به ـ يعني: إنّ أخاه أو ابن عمّه أو واحداً من عصبته جنى جناية، بحثوا عنه لم يجدوه فأخذوا هذا به ـ فقال له أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد تُعدي الصحاحَ مبارِكُ الجربِ[1]!

ولربّ مأخوذ بذنب عشيرة ونجا المقارف صاحب الذنب!

فقال له: أيّها الأمير: إذا كان الشاعر قد قال ذلك، فإنّي سمعت الله تعالى قال غير ذلك، قال: ويحك، وماذا قال الله؟ قال: قال الله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: ٧٨ ـ ٧٩]، صاحب الجريرة يؤخذ بجريرته ولا يؤخذ أحد مكانه.

سمع الحجاج هذه الآية من الرجل فقال: صدق الله وكذب الشاعر! خلّوا سبيل هذا الرجل.

الحجاج الظالم يخضع لنصّ القرآن: ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾!.

لا يجوز أن نقتل الرهبان من أجل أنّنا نطالب فرنسا بشيء، ما ذنب هؤلاء الرهبان؟ وقد قال الله تعالى: ﴿. . وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2] [المائدة: ٨٢].

---

(١) يعني: الأجرب يمكن أن يُعدي السليم.

(٢) وأوّلها: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا. .﴾.

لا يجوز أن نظلم أحداً بسبب أحد، ولذلك سرّني أنّ السياسيّين من جبهة الإنقاذ الذين يعيشون خارج الجزائر أنكروا هذه الجريمة، وتبرّؤوا منها، وقالوا: إنّ الإسلام بريء من مثل هذا، وهذا هو الحقّ الذي ينبغي أن يقال وأن يصرّح به.

ليس هناك أحد أكبر من أن يُلام، ومن أخطأ ينبغي أن يتحمّل نتيجة خطئه.

الإسلام دين سمح، ودين عدالة، ولا يظلم أحداً، ولا يأخذ أحداً بذنب أحد، لأنّه يمثّل عدل الله تعالى في الأرض، والله تعالى هو العدل الذي لا يظلم أحداً.

أيّها الإخوة:

قبل أن أدع مقامي هذا، أحبّ أن أقول كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية:

العرب كانوا معلّقين كلّ آمالهم على نجاح (بيريز)، وقد سقط (بيريز) ـ وهذا ممّا نحمده في إسرائيل، ونتمنّى أن تكون بلادنا مثلها، وأن يكون الشعب هو الذي يحكم، ليس هناك التسعات الأربع (٩٩ و٩٩) أو التسعات الخمس (٩٩٩ و٩٩) التي نعرفها في بلادنا!! إنّ الله تبارك وتعالى وهو خالق الخلق ورازقهم ومدبّر أمرهم لا يأخذ هذه النسبة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣]، ولكنّه الكذب والغشّ والخداع ـ ونحن لا يهمّنا في الحقيقة إن نَجح (بيريز) أو نجح (نتنياهو) فكلاهما شرّ، كما قال أحد الشباب أمس: إنّ كليهما يريد أن يأكلنا، واحد يريد أن يأكلنا بيديه، وواحد يريد أن يأكلنا بالشوكة والملعقة، إنّما نحن المأكولون، نجح (الليكود) أو نجح (العمل) نحن المضيّعون.

ينبغي ألاّ يعلّق الناس أملاً إلاّ على الله عزّ وجلّ.

لعلّ الإخوة الفلسطينيين يجمعون صفوفهم، ويعرفون أنّ هذا السلام الهزيل، سلام يقوم على ساقين مريضتين، سلام هشّ لا قيمة له ولا وزن.

ينبغي أن يضعوا كلّهم أيديهم بعضهم في يد بعض.

وينبغي للعرب أن يعودوا إلى أنفسهم، ويتضامّوا بعد هذه الجفوة التي حدثت، لا منجي لنا ولا مهرب إلاّ بأن نتحد.. إلاّ بأن نتضامّ.. إلاّ بأن نصبح كتلة واحدة كالبنيان المرصوص.

هذا ما ينبغي أن نفعله.

ليس أمامنا إلاّ بأن نعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرّق: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على المحبّة، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك، وأصلح لنا شأننا كلّه لا إله إلاّ أنت.

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعدائه هي السّفلى، وانصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا من أرض الإسلام، وأنقذ إخوتنا المضطهدين والممتحنين والمأسورين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم.

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنّا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

obeikandl.com